مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لحولية كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية

التحليل النطقى والوظيفى للحركات فى التراث العربى

بقلم الدكتور
مصطفى زكى حسن التونى
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

حوليةكلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السادس عشر، مطبعة الأخوة الأشقاء ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

يهدف هذا البحث إلى تناول الحركات فى اللغة العربية فى التراث العربى بهدف الكشف عن الجهود التى بذلها علماء اللغة العربية والمسلمون، وبيان مكانة هذه الجهود ، ومن المعروف أن الباحث قبل أن يسخر طاقاته فى بحث قضية ما تكون لديه توقعات عامة تشكلها بعض الشواهد والدلائل التى تدفع به إلى بحث قضية دون سواها ، ويصدق هذا الكلام على كاتب هذه السطور، فثمة شواهد تؤكد أن علم الأصوات النطقى عربى إسلامى أخذه الغرب عنا، وأن علم الأصوات الفيزيائى، وعلم الأصوات السمعى ذوا فائدة محدودة - فيما يتصل بدراسة الأصوات اللغوية - إذا ما قورنا بعلم الأصوات النطقى ذلك العلم الذى برع فيه اللغويون العرب وعلماء القراءات والتجويد، ووضعوا أسسه كاملة ، بل إن هذا الأمر يدعونا للبحث عن إنجاز العرب والمسلمين فى علمى الأصوات الفيزيائى والسمعى فى غير مجال الدراسات اللغوية والقراءات القرآنية، فنبحث عنه مثلا فى المؤلفات العربية فى مجالات الطب والفيزياء والموسيقى وما إلى ذلك .

نرى مكانة علم الأصوات النطقى أو الفسيولوجى عندما نتدبر ما

يقوله برتيل مالمبرج : « ما من ريب فى أن الصوتيات الفسيولوجية تقدم أجل الخدمات فى كل التطبيقات التعليمية للصوتيات مثل تدريس اللغات الأجنبية ، وتصحيح أخطاء النطق بما فيها النطق اللهجى ، والنطق العامى، وتعليم الصم والبكم»[١].

ويستبعد ما لمبرج أن تعتمد كتب علم الأصوات - التى تستخدم فى التعليم والتطبيق - على علم الأصوات الفيزيائى، فعلى الرغم من محاولة بعض علماء الأصوات فى الغرب القيام بذلك إلا أن جهودهم - بعبارة مالمبرج - لم تأخذ بعد شكلها النهائى، ومن السابق لأوانه أن تتضمنها كتب علم الأصوات التى تستخدم فى التعليم والتطبيق[٢].

ثم يعلن مالمبرج بشكل واضح عن واقع الدراسة الصوتية، فعلماء الأصوات يستخدمون التصنيف التقليدى للأصوات اللغوية الذى يعتمد على النمط النطقى بالإضافة إلى آذانهم وحسهم اللغوى[٣].

ويعرض جون ليونز لأقسام الدراسة الصوتية، فالوسيلة الصوتية يمكن دراستها من وجهات نظر ثلاث على الأقل : النطق، والتجريب، والسمع. فعلم الأصوات النطقى يبحث أصوات الكلام ويصنفها من جهة طريقة إنتاج أعضاء النطق لها، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات التجريبى من جهة الخصائص الفيزيائية للموجات الصوتية التى يحدثها نشاط أعضاء النطق، وتنتقل عبر الهواء من المتكلم إلى المستمع، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات السمعى من جهة الطريقة التى تستقبل بها أصوات الكلام، وتُميز من قبل أذن المستمع ومخه[٤].

ويوضح جون ليونز حقيقة تفرد علم الأصوات النطقى واستقلاله إذ إنّ التحليل الصوتى على أساس المعيار التجريبى (الفيزيائى) تعطى

دائما نتائج مختلفة تماما عن التحليل الصوتى الذى ينفذ على أساس المعيار النطقى أو السمعى، ومن الأمثلة على ذلك أن الأصوات [p] ، و[t]، و[k] التى تبدو ذات اختلافات نطقية وسمعية واضحة لا تبدو كذلك فى التحليل التجريبى (الفيزيائى) للإشارات التى تحتويها(٥).

لقد دفع الباحث إلى بحثه هذا شواهد قوية ترفع من أسهم المؤلفات العربية فى مجال علم الأصوات، وشواهد أخرى تكشف عن ظلم بين لعلماء أفذاذ ، ولتراث علمى مجيد، نطمع فى أن يبدده البحث الجاد، والقراءة العميقة المتأنية للتراث العربى والإسلامى فى مجال الأصوات .

فمن أمثلة الظلم ما نراه من أفكار مبثوثة فى كتب بعض المبرزين فى الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وإن كنا نرجح أن هذه الأفكار قد تخلى أصحابها عنها فى رحلة خدمتهم للغة العربية فإنها لاتزال متداولة بتداول الكتب التى تحتوى عليها(٦).

وقد جاء البحث فى خمسة أقسام تناول القسم الأول طائفة الحركات فى اللغة العربية، واحتلالها قسماً برأسه فى النظام الصوتى، وتناول القسم الثانى المخرج، وتناول القسم الثالث الصفات، وتناول القسم الرابع وظيفة الحركات فى اللغة العربية، وتناول القسم الخامس الحركات الفرعية .

وكلى أمل فى أن يوفقنى الله ، ويوفق زملائى فى القيام بما حملنا من أعباء وواجبات تتصل بتحصيل العلم وبذله، إنه الملاذ والملجأ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١)

الحركات قسم برأسه فى النظام الصوتى

احتلت الحركات فى التراث العربى مكانة لم تحتل مثلها ظاهرة لغوية أخرى، كما حظيت باهتمام لم تحظ بمثله ظاهرة لغوية أخرى، ولئن كانت الفتحة والضمة والكسرة هى ما تتجه إليه الأنظار عند ذكر مصطلح الحركات فإن التراث العربى لم يقصر مدلول مصطلح الحركة عليهن، كما لم يقتصر استخدامه على هذا المصطلح، فهناك ما يمكن إضافته إلى الفتحة، والضمة، والكسرة مما يمكن أن نطلق عليه مصطلح حركة، كما أن هناك مصطلحا آخر يمكن أن يكون مرادفا لمصطلح حركة، وهو ما نجده واضحا جليا فى قول الفارابى: «والحروف منها مصوت، ومنها غير مصوت، والمصوتات منها قصيرة، ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هى التى تسميها العرب الحركات»(٧).

كما نجد ذلك عند التهانوى الذى قسم حروف العربية إلى قسمين: المصوتة والصامتة، فالمصوتة حروف المد واللين أى حروف العلة الساكنة التى حركة ما قبلها مجانسة لها، والصامتة ما سواها(٨).

وعليه فإن مصطلح الحركات يمكن أن يترادف معه مصطلح مصوتات، وكلاهما يشير إلى الفتحة والضمة والكسرة باعتبارهن حركات أو مصوتات قصيرة وإلى ألف المد، وواو المد، وياء المد باعتبارهن حركات أو مصوتات طويلة .

وتعد الحركات بنوعيها قسما برأسه ضمن العناصر اللغوية أو الوحدات الصوتية المكونة للكلام، ولا تعد تابعة لغيرها كما قد يتصوره من يتحرك فى إسار تقاليد الكتابة العربية، ولقد كان تأكيد ذلك الأمر هدف التحليلات النطقية عند كبار اللغويين العرب، فابن جنى يسوق الشواهد والأدلة على أن حركة الحرف فى المرتبة بعده، فأنت تجد الحركة فاصلة بين المثلين أو المتقاربين إذا كان الأول منهما متحركا، والمثلان نحو قولك: قصص، ومضض، وطلل، وسرر، وحضض، ومرر، وقدد . ولولا أن حركة الحرف الأول من هذين المثلين بعده لما فصلت بينه وبين الذى هو مثله بعده، ولو لم تفصل لوجب الإدغام لأنه لا حاجز بين المثلين ، فإن ظهر هذان المثلان، ولم يدغم الأول منهما فى الأخر فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما، وليس ههنا فصل ألبتة غير حركة الأول(٩)، وهو ما أخذ به اللغويون من بعده، وفى ذلك يقول ابن يعيش: «محل الحركة بعد الحرف على الصحيح من المذهب»(١٠).

وفى سياق إثبات أن الحركة قسم برأسه لا يتبع غيره كما قد يتصوره من يقع فى إسار تقاليد الكتابة العربية ينفى ابن جنى كون الحركة قبل الحرف من خلال الإدغام، ففى كلمة مثل قطَّع بتشديد الطاء لو كانت حركة الطاء الثانية قبلها فى الرتبة لكانت حاجزة بين الطاء الأولى والطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى فى الثانية ، لأن الحركة - على هذه المقدمة - مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية بينها وبين الأولى ، وإذا حجز بين الحرفين

حركة بطل الإدغام ، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها(١١).

ويعرض ابن جنى لما يمكن أن يكون قد شاع تحت تأثير تقاليد الكتابة العربية من أن الحركة تحل الحرف أو أنها تحدث مع الحرف، ويصف ذلك مرة بأنه مجازى «وقول النحويين إن الحركة تحل الحرف مجاز لا حقيقة تحته»(١٢)، ويصفه مرة أخرى بالفساد «وقد ذكرت فى كتاب الخصائص فساد هذا القول»(١٣).

وقد تلقف اللغويون من بعد ابن جنى هذه الحقائق وشاعت فيما بينهم، فالحركات القصيرة تتكافأ مع الحركات الطويلة ومع سائر الحروف أو الصوامت فى إطار النظام الصوتى للغة، وهو ما نجد صريحا فى قول القيسى : «وقال بعض أهل النظر : ليست هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، ولا الحركات مأخوذة من الحروف، إذ لم يسبق أحد الصنفين الآخر، على ما قدمنا من قول: إن الحروف والحركات لم يسبق أحدها الآخر، وهو قول صحيح إن شاء الله تعالى»(١٤)، وفى قول ابن يعيش: «الحركات والحروف أصوات، وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا والضعيف حركة وإن كانا فى الحقيقة شيئا واحدا»(١٥).

والقول بأن الحركة قسم برأسه وهو ما يتجلى فيما نقلناه عن الفارابى وغيره، وفيما تثبته تحليلات ابن جنى - يذهب إليه اللغويون الغربيون، فبعد أن ناقش برتيل مالمبرج أنماط النطق فى كتابه «الصوتيات» شرع فى تقسيم الأصوات اللغوية إلى الحركات وتناولها بالدراسة فى الفصل الرابع من كتابه، وإلى السواكن وتناولها

بالدراسة فى الفصل الخامس[١٦]، وهو التقسيم الذى نراه أيضا عند جون ليونز[١٧]، وعند ديفيد أبركرومبى[١٨]، وذلك على سبيل المثال. وهو ما يعكس الأصالة والريادة للغويين العرب .

وفيما يتصل بالتحليل النطقى للحركات فقد اكتنف وصفها الغموض، وأحاطت به الصعوبات، فهى ليست كالصوامت تلعب الصفات والمخرج دورا حاسما فى التمييز بين آحادها بما لا يدع غموضا، ولا يترك لبسا ، غير أن هناك جوانب نطقية واضحة وقاطعة منها العلاقة بين القصير منها والطويل، إذ الطويل منها يستغرق ضعف الزمن الذى يستغرقه القصير منها أو أضعافه، فالفتحة تستغرق زمانا تستغرق ضعفه الألف المدية، والضمة تستغرق زمانا تستغرق ضعفه الواو المدية، والكسرة تستغرق زمانا تستغرق ضعفه الياء المدية. ولا فرق بين الكسرة والياء ، ولا الضمة والواو ، ولا الفتحة والألف إلا فيما يخص البعد الزمانى المطلوب، ومن الجوانب القاطعة أيضا خروج الهواء أو إطلاقه عند النطق بها بغير انضغاط أى دونما سد أو تضييق .

ويعرب ابن سينا عن صعوبة وصف الحركات، وعن جوانبه الواضحة والقاطعة من جهة، وغير الواضحة من جهة أخرى بقوله: «وأما المصوتات فأمرها على كالمشكل ، ولكنى أظن أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم، والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين واعتماد فى الإخراج على ما يلى فوق اعتمادا يسيرا ، والياءان تكون المزاحمة فيها بالاعتماد على ما يلى أسفل قليلاً، وكل صغرى فهى واقعة فى أصغر الأزمنة، وكل كبرى فى أضعافها[١٩].

والجوانب الواضحة والقاطعة فيما يتصل بوصف الحركات نجدها عند ابن جنى أيضاً ، فخروج الهواء أو إطلاقه عند النطق بها يكون بغير انضغاط، يقول ابن جنى : «فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدًا حتى ينفد، فيفضى حسيراً إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد منقطعا فيما فوقها، والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف، ثم الياء ، ثم الواو»(٢٠)، وجعل الألف صوتا غفلا بغير صنعة، وجعل الياء والواو مع شئ من الصنعة(٢١).

والعلاقة بين الحركات وحروف المد أيضا عند ابن جنى علاقة كمية، فالحركات أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهى الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وهى فكرة أقدم من ابن جنى(٢٢) شاعت فيما بين المتقدمين من النحاة «وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة»(٢٣).

وتتفاوت حروف المد فيما بينها من حيث الطول أيضا، فالألف والواو والياء اللواتى هن حروف توام كوامل قد تجدهن فى بعض الأحوال أطول وأتم منهن فى بعض، وذلك كما فى قولك: يخاف، وينام، ويسير، ويطير، ويقوم، ويسوم. فتجد فيهن امتدادًا واستطالة(٢٤)، وتزداد طولا وامتدادًا إذا أوقعت بعدهن همزة كما فى يشاء ويسوء ويجىء ويفىء، أو إدغامًا نحو شابة ، ودابّة ، ويطيب بكر، ويسير راشد(٢٥).

وهذه الجوانب التى أولاها اللغويون العرب الأولية فى وصف الحركات نجدها أول ما ينص اللغويون الغربيون عليها بوصفها مميزًا أساسيًا للحركات، ومن ذلك ما نجده عند برتيل مالمبرج «تتميز الحركات أكوستيكيا بعدم وجود احتكاك مسموع، ونطقيا بمر هواء مفتوح»(٢٦)، وعند جون ليونز «الحركات - بقدر ما يمكن أن تميز بشكل حاسم عن الصوامت - تتميز بغياب إعاقة تيار الهواء فى الفم»(٢٧)، وعند ديفيد أبركرومبى «الحركات تعديلات فى صوت الجهر لا تتضمن انغلاقاً ولا احتكاكاً ، ولا أى اتصال من اللسان أو الشفتين بعضو آخر»(٢٨)، وكل ما ذكرناه هنا يعنى بالضبط ما قاله ابن سينا وابن جنى من أن مخرج هذه الحروف (حروف المد واللين) وأبعاضها - بطبيعة الحال - يتسع حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، ومن ثم يستمر الصوت حتى ينفد.

أما عنصر الزمن الذى يميز بين الحركات القصيرة (الفتحة، والضمة، والكسرة) وحروف المد (الألف، والواو، والياء) عند علماء العرب والمسلمين، فقد جاء فى مقدمة ما جعله علماء الغرب أساسًا للتمييز بين الحركات «لا تتميز الأصوات اللغوية الواحد عن الآخر باختلاف نوعيتها فحسب، بل باختلاف مدتها (امتدادها الزمنى)، أو طولها أيضاً»(٢٩)، وهو ما نجده أيضاً عند جون ليونز(٣٠) حيث يشير إلى أنه يعد أساسًا فى تصنيف الحركات، وله رمزه فى الأبجدية الصوتية العالمية هو النقطتان (:)، وهو ما نجده كذلك عند ديفيد أبركرومبى الذى يجعل الحركات قسمين قصيرة وطويلة، وذلك كما فى قوله: «فإذا ما وازنا على سبيل المثال بين آحاديتى المقطع « leak » « leek » كما ينطقها المثقفون الأسكوتلانديون من غرب أسكوتلاند، فلن يبدو أى فرق بينهما فى نوعية القطوع

بل فى أطوالها، فالحركة فى الكلمة الأولى قصيرة والثانية طويلة(٣١).

ولا يرتبط عنصر الزمن بالحركات فحسب بل يرتبط كذلك بالصوامت وهو ما نجده فى التراث العربى، ونجده كذلك فى المؤلفات الغربية، ويتجلى ذلك فيما ذكره الشيخ محمد مكى نصر من ترتيب لحروف العربية من حيث الطول، حيث يتدرج طول الحروف العربية فأطوالها زمانا حروف المد، ويليها الحروف الرخوة، ثم الحروف البينية، وفى النهاية الحروف الشديدة التى لا توجد إلا فى آن حبس النفس ولذا تسمى آنية دون سائر الحروف التى يطلق عليها الزمانية «الحروف الشديدة آنية لا توجد إلا فى آن حبس النفس، وماعداها زمانية يجرى فيه الصوت زمانا، وهى متفاوتة فى الجريان إذ الحروف الرخوة أتم جريانا من الحروف البينية، وحروف المد أطول زمانا من سائر الحروف الرخوة»(٣٢)، وفيما ذكره برتيل مالمبرج على سبيل المثال «لا تتميز الأصوات اللغوية الواحد عن الآخر باختلاف نوعيتها فحسب بل باختلاف مدتها (امتدادها الزمنى) أو طولها أيضا، كل الأصوات باستثناء الوقفيات (يقصد الشديدة التى يطلق عليها فى التراث العربى الحروف الآنية) يمكن إطالتها طالما سمح الهواء الرئوى بذلك»(٣٣).

وبالنسبة بين الفترة الزمنية التى يقتضيها النطق بالحركات الطويلة (ألف المد، وواو المد، وياء المد)، والفترة الزمنية التى يقتضيها النطق بالحركات القصيرة ٢ : ١ ، وهو ما عبر عنه فى التراث العربى بأن مقدار المد الطبيعى حركتان، والمراد بالمد الطبيعى ألف المد، وواو المد، وياء المد. والمراد بالحركتين ليس حركتين للإصبع بسطاً وقبضاً كما يشيع عند المعلمين، وإنما هو فتحتان، أو ضمتان، أو كسرتان.

وهو ما صرح به من علماء العربية الشيخ محمد مكى نصر على سبيل المثال : «وسمى مدًا طبيعيا لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن حده، ولا يزيد عليه، وحده مقدار ألف وصلاً ووقفا، ونقصه عن ألف حرام شرعا، فيعاقب عن فعله، ويثاب على تركه، فما يفعله بعض أئمة المساجد وأكثر المؤذنين من الزيادة فى ا لمد الطبيعى عن حده العرفى أى عرف القراء فمن أقبح البدع وأشد الكراهة، فإن قيل ما قدر الألف فقل هو أن تمد صوتك بقدر النطق بحركتين إحداهما حركة الحرف الذى قبل حرف المد، والثانية هى مقدار حرف المد»(٣٤).

ولقد اقتفت المؤلفات الصوتية الغربية أثر علماء العرب والمسلمين، ونجد ذلك فيما ذكره برتيل مالمبرج «يبدو لنا تبعا للقياسات أن طوال الحركات أطول من قصارها بشكل عام بنسبة ٥٠٪ تقريبا فى الحالات التى تكون فيها الفروق فروقاً كمية حقيقية»(٣٥).

وثمة صوامت تتشابه مع حركات المد فى التراث العربى بما يجعل تنوع حروف اللغة تتدرج من حال إلى حال، فالواو والياء اللينتان تُعَدَّان حالة وسط بين الحركات والصوامت، فهما يشبهان الحركات على الرغم من أنهما ينتميان إلى مجموعة الصوامت، ويتميزان بوجود انضغاط للهواء يقل عما هو موجود عند النطق بالصوامت الأخرى، وهى الصفة التى يطلق عليها اسم اللين، ويفسر ابن سينا أوجه التشابه والتمايز بين الواو والياء الصامتتين اللتين تعدان صوتى لين من جهة، والألف والواو والياء التى تعد أصوات مد ولين من جهة ثانية، وباقى حروف العربية التى لا تعد أصوات مد ولا

أصوات لين من خلال الأسس التصنيفية الرئيسية للحروف التى تابع فيها لغويو الغرب العلماء العرب والمسلمين .

فالواو والياء الصامتتان تتميزان بوجود انضغاط للهواء لا يبلغ الانضغاط الحادث عند النطق بالحروف الصامتة الأخرى التى تنطق من مخرجيهما مثل الفاء والجيم، بيد أن هذا الانضغاط يزيد عما هو موجود فى الواو والياء المديتين، ويقارن ابن سينا بين تلك المجموعات، فإذا كان حبس الهواء بأجزاء لينة من الشفة وتسريبه فى آخر الثنية من غير حبس تام حدث الفاء، وأما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه فى انضغاطه بسطح الشفة، والياء الصامتة فتحدث حيث تحدث السين والزاى (هكذا)، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرًا، وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فمخرجها مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم، والواو المصوتة وأختها الضمة فمخرجها مع إطلاق للهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل(٣٦).

والقول بأن هناك من الحروف ما يحتل مكانا متوسطا بين الصوامت والحركات (حرفا اللين الواو الياء) نجد أيضا مؤلفى الغرب وقد اقتفوا أثره، وما يترتب عليه من تصنيف، وفى ذلك يقول جون ليونز: «تختلف الصوامت عن الحركات فالصوامت تصدر عن طريق سد أو تضييق مؤقت لمجرى الهواء، والاختلاف الصوتى بين الصوامت والحركات - فى الواقع - ليس مطلقا ، فهناك أصوات كلامية معينة ذات حالة وسط»(٣٧).

ويصل الأمرُ إلى حد قد يوحى بالتطابق حتى فى العناصر الصوتية الممثل لها فى المنطقة التى تتوسط الحركات والصوامت،

وهى حرفا اللين فى اللغة العربية : الواو والياء ، إذ يقابل مصطلح اللين فى التراث العربى مصطلح (Semi - vowel) فى المؤلفات الغربية، ، بل إن حرفى اللين العربيين يقابلهما حرفان لا أكثر ولا أقل هما [w]، [y]، وهو ما نجه صريحا عند ديفيد أبركرومبى: «ومن الممكن، كحالة أخرى، لعناصر التركيب فى اللغة الإنجليزية المدلول عليها بالرمزين c ، و v أن تكون هذه العناصر ذات انحباس من نوع التقارب المتسع، أى لا تتضمن انغلاقاً، أو احتكاكا، أو اتصالا يقوم به اللسان أو الشفتان، ومن ثم فالمصطلح شبه حركة على سبيل المثال يكون حركة بوصفه قطعاً معرفا بالشكل الصوتى وعنصرا مدلولا عليه بالرمز « c » فى تركيب مقطعى محدودًا بالوظيفة الفونولوجية، ومثال ذلك الرمزان « y » ، « w » فى الكلمتين الإنجليزيتين « yet ، و wet »[٣٨].

* * *

(٢)

المخـــرج

جعل سيبويه مخرج الألف من أقصى الحلق «فأقصاها مخرجًا الهمزة، والهاء، والألف»(٣٩)، وجعل مخرج الياء من وسط اللسان ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم، والشين، والياء»(٤٠)، وجعل مخرج الواو من بين الشفتين «ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو»(٤١)، وتبعه فى ذلك بعض علماء القراءات والتجويد(٤٢).

أما الخليل بن أحمد وتبعه معظم اللغويين وعلماء القراءات والتجويد قد جعل الألف والواو والياء من الجوف، أى الخلاء الواقع فى الفم والحلق، نظرًا لأنها تختلف عن سائر الحروف العربية التى لها أحياز ومدارج، وفى ذلك يقول ابن منظور: «حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحا، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف: الواو ، والياء، والألف اللينة، والهمزة. وسميت جوفًا لأنها تخرج من الجوف، فلا تخرج فى مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة، ولا مدارج اللسان، وهى فى الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول: الألف اللينة، والواو، والياء هوائية أى أنها فى الهواء»(٤٣).

والخلاف بين الخليل وسيبويه خلاف لا يتعدى الصياغة، فالمفهوم عندهما واحد، وما أراد سيبويه مخالفة مفهوم الخليل، وإنما أراد بمخرج الألف من مخرج الهمزة أن مبتدأ الألف من أقصى الحلق،

ويمتد الصوت به، ويمر على جميع هواء الفم، فالقارئ على سبيل المثال يفسر الخلاف اللفظى بين سيبويه والخليل بأن سيبويه جعل الألف من مخرج الهمزة بمعنى أن مبدأه مبدأ الحلق، ويمتد ويمر على جميع هواء الفم حتى ينقطع مخرجه فى الحلق فنسب فى الخروج إلى الحلق لأنه آخر خروجه، ولا منافاة بين أن يكون مبدؤه الحلق وانقطاع مخرجه فى الحلق لأن المراد أنه ليس له اعتماد(٤٤)، ومن ثم فلا نزاع بينهما، وأيضاً لأن مخرج الصوت عنده هو منتهى الصوت أو مكان انقطاعه، وانقطاع صوت الألف عند أقصى الحلق أى انتهاء الصوت الصادر من الحنجرة (الجهر)، ويتضمن هذا الكلام أن الألف لا معتمد لها فى شئ من أجزاء الفم، فمبدؤه الحلق ومنقطع مخرجه فى الحلق أيضاً، وهذا هو الدافع وراء من جعل مخرج الألف أقصى الحلق مع الهمزة والهاء بيد أن اختلاف الألف والواو والياء عن الهمزة فيما يتصل بعدم اعتمادهن على مكان يجعل اختصاصهن بالجوف دون الهمزة أجدر بالأخذ فى الحسبان.

ويبرر الأنصارى سلوك من تابع سيبويه فى الألف وجعلها مع حرفى أقصى الحلق بقوله: «وذكرها معهما لأن مبدأها مبدأ الحلق ثم تمتد وتمر على الكل لكنه جعلها بعدهما، وغيره جعلها بينهما لأن الثلاثة وإن كانت من مخرج واحد فهى مرتبة فيه الهمزة ثم الألف ثم الهاء»(٤٥).

أما نصر فقد جعل الألف من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء قولاً مجازيا ذهب إليه بعض المؤلفين، إذ قالوا بانقسام اقصى الحلق إلى ثلاثة مواضع، يخرج من ثالثها الألف المدية، ويرى أن هذا الانقسام صحيح، لاحظ تباين خروج الهمزة والهاء والألف حيث تعد الأولى

وقفة حنجرية، وتعد الثانية نظيرها المهموس، أما الألف فمبدأ صوته كما يذهب محمد مكى نصر هو الموضع الثالث من أقصى الحلق، ويضيف أن الجمهور لم يقولوا بهذا المجاز بل جعلوا مخرج حروف المد جوف الحلق(٤٦).

وعلى هذا النحو سار جمهور اللغويين وعلماء التجويد والقراءات، فجعلوا مخرج الألف والواو والياء الجوف، ووصفوا هذا المخرج بأنه مقدر نظرًا لعدم اعتمادهن على مكان بعينه فى الحلق والفم دون سائر حروف العربية بل جعلوه المخرج الأول، يقول القارى : «ثم اعلم أنَّه قدم حروف المد على سائر الحروف لعموم مخرج المدية وكونها بالنسبة إلى مخارج البقية بمنزلة الكل فى جنب الجزء فيستدعى التقديم من هذه الحيثية، وإن كان من المناسب تأخيرها عنها باعتبار أن حيزها مقدر، وما حيزه مقدر فهو حقيق بأن يؤخر عما حيزه محقق»(٤٧)، ويميز محمد مكى نصر بين نوعى المخرج فيقول: «فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت فى الجملة كان مخرجه المقدر»(٤٨).

ويعرض الشيخ محمد مكى نصر لما يجمع بين حروف المد أو الحركات الطويلة والصوامت، ولما يميز بينها، وبين آلية النطق عامة، ونطق كل طائفة خاصة، فالهواء الخارج من داخل فم الإنسان إن كان مسموعًا فهو صوت، وإلا فهو مجرد نفس، والصوت إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر فهو حرف وإلا فهو مجرد أصوات لا علاقة لها باللغة، فالحرف المقصود به صوت اعتمد على مقطع أى مخرج محقق، وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أ جزاء الحلق واللسان والشفتين، أو مقطع مقدر وهو هواء الفم إذ

الألف لا معتمد له فى شئ من أجزاء الفم بحيث ينقطع فى ذلك الجزء، ولهذا فهو يقبل الزيادة والنقصان، ويعد الصوت مادة الحرف، ويعد الصوت الهواء المتموج بتصادم جسمين، وهو عام لا يختص بالإنسان بخلاف الحرف فإنه مختص بالإنسان(٤٩).

فالعمليات التى تتصل بالنطق تتدرج فى مراحل ينبغى إتمامها حتى تكون إزاء ما نحن بصدده من دراسة، فالهواء الخارج من داخل الرئة إن خرج بدفع الطبع من غير أن يسمع سمى نفسا، وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج يسمع بسبب تصادم جسمين سمى صوتا، وإن عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب اعتماده على مقطع أو مخرج محقق، وهو الذى ينقطع فيه الصوت كجزء من الحلق أو اللسان أو الشفتين أو الخيشوم، أو مقدر وهو الذى لم ينقطع فيه الصوت، بل قدر له جوف الحلق والفم، سمى ذلك الصوت حرفاً(٥٠).

والتراث العربى يجمع بين الألف والواو والياء المدية، ويخصهن بسمات تتعلق بالمخرج الصوتى، وحرية مرور الصوت وانتشاره وامتداده، فمخرج هذه الحروف الثلاثة الجوف أى جوف الحلق والفم، وهو الخلاء الداخل فيهما، وتسمى تلك الحروف الثلاثة بحروف المد واللين، لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها، والمخرج إذا اتسع انتشر الصوت فيه وامتد ولان ، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب، ويقال لها أيضاً الحروف الجوفية، والهوائية. لأن مبدأ أصواتها مبدأ الحلق يمتد ويمر على كل جوف الفم والحلق، وهو الخلاء الداخل فيه، فليس لهن

حيز محقق، وينتهين بانتهاء الهواء، أى هواء الفم، وهو الصوت، ولذا يقبلن الزيادة والنقصان فى مراتبها، وهن بالصوت أشبه(٥١).

أما ما يميز بين حرف وآخر من حروف المد رغم شبههن بالصوت فهو شكل التجويف الفموى الذى يتدخل فى تشكيله عوامل عديدة، منها حركة الفك السفلى، وحركة اللسان واتخاذه أوضاعًا مختلفة، وشكل الشفتين. كل هذا دون المساس باتساع مخرج الهواء اتساعا يحول دون انضغاط الصوت أو انقطاعه، أو بعبارة الشيخ محمد مكى نصر «فلولا تصعد الألف، وتسفل الياء، واعتراض الواو أى بين الصعود والتسفل لما تميزت (حروف المد) عن الصوت المجرد»(٥٢).

أما الياء والواو فلهما وضعان مختلفان، أحدهما ما سبق بيانه فى الفقرة السابقة، والثانى أن هواء الفم وهو الصوت ينضغط فى الياء عند شجر الفم، وفى الواو عند الشفتين، ومن ثم يكون لهما مخرجان محققان، ويعدان فى هذه الحالة حرفى لين(٥٣).

فمخرج الياء اللينة (غير المدية) من بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج معها من هذا الموضع الجيم والشين، وتسمى هذه الحروف الثلاثة شجرية لخروجها من شجر الفم، وهو منفتح ما بين اللحيين، أو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى(٥٤).

ومخرج الواوِ اللينة (غير المدية) من بين الشفتين، ويخرج معها من هذا الموضع الباء والميم، إلا أن الشفتين تنطبقان عند النطق بالباء

والميم، وتنضمان بغير انطباق عند النطق بالواو اللينة، وانضمامها عند النطق بالواو اللينة أكبر منه عند النطق بالواو المدية(٥٥).

وعليه فقد أطلق على الحروف التى نحن بصدد دراستها فى هذا البحث ألقابا عدة : الجوفية، والجوية، والهوائية. فحروف المد واللين باعتبار مجيئها من الجوف جوفية أو جوية، فالجوف والجو بمعنى واحد وهو الخلاء، وجو الفم والحلق أو جوفهما المراد به الخلاء الواقع فيهما، والجو فى أصل اللغة ما بين السماء والأرض، وأطلق على الخلاء الذى نحن بصدده هنا من باب المجاز، وهذه الحروف باعتبار المد هوائية(٥٦).

أما الواو والياء اللينتان غير المديتين فقد أطلق عليهما ألقابا أخرى، فالياء شجرية لأنها تخرج مع الجيم والشين من شجر الفم، وشجر الفم بسكون الجيم هو منفتح ما بين اللحيين، وقيل هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى، والواو شفهية لأنها تخرج مع الواو والباء (ويمكن إضافة الفاء إليهما) من الشفتين(٥٧).

وإذا كانت الياء والواو تارة مدية وأخرى لينة، فإن الألف لا تكون إلا ساكنة، وحركة ما قبلها من جنسها، وهى الفتحة فلا يختلف حالها من أنها دائما تكون هوائية بخلاف أختيها فإنهما إذا فارقاها فى صفة المشابهة صار لهما حيز محقق، ومن ثم كان لهما مخرجان مخرج حال كونهما مديتين، ومخرج حال كونهما متحركتين، ثم كل حرف مساو لمخرجه أى لمقداره لا يتجاوزه، ولا يتقاصر عنه إلا حروف المد فإنها دون مخرجها، ومن ثم قبلت الزيادة فى المد إلى انقطاع الصوت(٥٨).

وقد تابع لغوية الغرب أثر اللغويين العرب فيما يتعلق بمخرج حروف المد وأبعاضها، فقد جعل العرب مخرج تلك الحروف مقدرًا، وهو المصطلح الذى يذكرنا بما فى النحو العربى من تقسيم للحركات الإعرابية إلى ظاهرة ومقدرة ، فالتقدير فى مخارج الحروف وفى الإعراب انتفاء الوجود وثبات الحكم، فقد صرح علماء العربية بانتفاء المخرج عند تناولهم للألف «وهى صوت هوائى يخرج من هواء الحلق متصلاً بهواء الفم لا يعتمد على مخرج معين، وهى أخفى الحروف، لذلك سميت بالحرف المتهاوى، لأنه يهوى فى الفم حتى يتصل بالحلق»(٥٩)، وجعل جون ليونز الحركات غير ذات مخرج بالمعنى الذى نعرفه فى الصوامت «وننتقل الآن إلى التحليل النطقى للحركات، ولما كانت الحركات - بقدر ما يمكن أن تميز بشكل حاسم عن الصوامت - تتميز بغياب إعاقة تيار الهواء فى الفم فليس لها مخرج صوتى بالمعنى الذى نعرفه فى الصوامت»(٦٠).

ومن شواهد متابعة اللغويين الغربيين للغويين العرب بشأن مخرج حروف المد ما يقوله أبركرومبى «الحركات تعديلات فى صوت الجهر لا تتضمن انغلاقًا ولا احتكاكا، ولا أى اتصال من اللسان، أو الشفتين بعضو آخر. وما عدا ذلك من القطوع فهو صامت»(٦١)، فعدم وجود انغلاق أو الاحتكاك، أو ما نفضل التعبير عنه بالتضييق ينفى وجود المخرج الذى نجده فى الصوامت، وهو ما يفهم أيضاً من قول برتيل مالمبرج «تتميز الحركات أكوستيكيا بعدم وجود احتكاك مسموع، ونطقيا بمر هواء مفتوح»(٦٢).

* * *

(٣)

الصـفـات

لحروف المد واللين الألف والواو والياء وأبعاضها الفتحة والضمة والكسرة صفات منها اللين، وتعنى هذه الصفة إخراج الحرف بعدم كلفة على اللسان، وعلة إخراج تلك الحروف بعدم كلفة على اللسان أن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها، والمقطع أو المخرج إذا اتسع انتشر الصوت ولان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب، وعندما يتسع هواء الصوت إلى الحد الأقصى نكون بإزاء الألف، لأن هذه الدرجة من الاتساع قد تفتقدها فى الواو، لأنك تضم شفتيك، وفى الياء، لأنك ترفع لسانك قبل الحنك(٦٣).

وتتصف هذه الحروف بالخفاء لاتساع مخرجها، لذلك وجب مدها إذا ما تلاها صعوبة فى النطق كالهمز أو التضعيف أو السكون للوقف، وذلك حتى لا يؤثر تركيز المتكلم على ما بعد هذه الحروف على النطق بهذه الحروف، فتكون عرضة للسقوط والضياع(٦٤)، وأخفى هذه الحروف الألف إذ إنها أوسعهن مخرجا ثم الياء ثم الواو(٦٥)، وقد فصل علماء القراءات والتجويد أسباب المد ودواعيه، فوجه المد أن الهمزة ثقيلة فى النطق بها لأنها حرف شديد جهرى، فزيد فى المد قبلها للتمكن من النطق بها على حقها من شدتها وجهرها. وقيل إن حرف المد ضعيف خفى، والهمز قوى صعب

فزيد فى المد تقوية لضعفه عند مجاورته القوى، أما وجه التفاوت فى مراتب المد فلأجل مراعاة سنن القراءة(٦٦).

وفيما يتعلق باتصاف الحروف المدية بالرخاوة والبينية خلاف، فقد جمع بعض المؤلفين فى التراث العربى الحروف البينية فى قولك «ولينا عمر»، وسميت هذه الحروف بالبينية لأنها بين الشدة والرخاوة، فغذا نطقنا بها لم يجر الصوت معها جريانه مع الرخوة، ولم ينحبس الصوت معها انحباسه مع الشديدة، وأخرج بعضهم الألف منها ، لتكون الحروف البينية مجموعة فى قولك (نولى عمر)، وأخرج بعضهم الألف والواو والياء لتكون الحروف البينية مجموعة فى قولك «لن عمر»، وعليه فإن ثمة اتجاهًا لفصل حروف المد واللين عن الحروف البينية التى هى وسط بين الحروف الرخوة التى تقبل جريان الصوت أو امتداده، والحروف الشديدة التى لا تقبل ذلك نظرًا لأن نطقها يعتمد أصلاً على ذلك الجريان، والامتداد، وإثبات صفة الرخاوة التى هى بمعنى اللين لها(٦٧).

وميز التراث العربى بين المستطيل والممدود من الحروف، فثمة حرف واحد فى اللغة العربية يتصف بالاستطالة، وهو الضاد العربية القديمة، بيد أن الاستطالة تعنى جريان الصوت فى مخرج الحرف، أما الممدود فيجرى فى ذاته، وليس فى مخرجه، كما أن الحرف المستطيل لا يتجاوز صوته مخرجه المحقق كسائر الحروف، أما الممدود فليس له مخرج فلم يجر إلا فى ذاته لأن المخرج المقدر ليس بمخرج حقيقة، فلا ينقطع إلا بانقطاع الهواء(٦٨).

وتتصف حروف المد وأبعاضها بالجهر، وعلى ذلك ينص سيبويه بقوله: «فأما المجهورة فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاى، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً»(٦٩)، وينص علماء القراءات والتجويد على ذلك، فيجعل الشيخ محمد مكى نصر على سبيل المثال حروف الجهر تسعة عشر حرفاً، وجمعها فى كلمات هى «بعظم وزن قارئ ذى غض للبصر اجتهد فى الطلب»(٧٠)، والجهر صفة جوهرية للحركات قد لا تنفك عنها فى اللغات جميعاً، وليس فى اللغة العربية وحدها، إذ بدون الجهر قد تكون الحركة مجرد نفس غير مسموع .

ويصحب ما يعرف بصفة الجهر احتباس فى النفس أو حصر له، وارتفاع وقوة فى الصوت، ووجود صدى للصوت فى منطقة الصدر(٧١)، واحتباس النفس يكون فى منطقة الحنجرة، ويكون على أشكال متعددة فإذا كان الحبس تاماً قوياً لالتقاء جرمين لينين، ثم انقلاعهما، وانحفاز الهواء المصون دفعة إلى خارج كان صوت الهمزة، وقد شبه ابن سينا ما يحدث عند النطق بالهمزة فى الحنجرة بما يحدث عند النطق بالباء فى الشفتين فأوضح ما لا نشاهده بما نشاهده(٧٢).

وإذا كان حصر النفس أو احتباسه غير تام بل بإجرام كما يحدث فى الشفة مع النطق بالفاء، ومعه إطلاق مستمر فى الوسط كان النطق بالهاء، وإذا كان ابن سينا قد جعل الباء والفاء عند الشفة كنسبتهما من الهمزة والهاء عند الحنجرة فإن ذلك يرجع إلى وجود عضلتين فى الحنجرة تناظران الشفتين «وعضلتان هما فى

جميع الناس إحداهما تمر من قرب عند الدرقى إلى عند الطرجهارى من اليمين، والأخرى كذلك من اليسار، وكلاهما صغير يفعل بالعصر وموافقة المكان فعلا عظيماً إلى حد يقاوم به عضل الصدر والحجاب عند حصر النفس»(٧٣).

وعليه فثمة وضع يخص الحنجرة يتعلق بالجهر الذى هو صفة لحروف المد وأبعاضها الحركات، وهو حصر النفس، ويتم عن طريق غضروفين من غضاريف الحنجرة الثلاثة أسماها ابن سينا الطرجهارى والدرقى مع عضلتين توجدان فى جميع الناس، إحداهما تمر من حافة الدرقة إلى حافة الطرجهارى يمنة والأخرى يسرة، وتقاوم عند حصر النفس عضل الصدر والحجاب الحاجز اللذين يعملان على دفع هواء الرئتين إلى الخارج(٧٤).

ولقد كان موقف اللغويين العرب إزاء حقيقة حصر النفس أثناء النطق بالحروف المجهورة، وجريانه اثناء النطق بالحروف المهموسة واضحاً، إذ جعلوا من حصر النفس وجريانه السمة المميزة للحروف المجهورة والمهموسة، فالمبرد يميز الحروف المهموسة بإمكانية جريان النفس (خروج هواء الزفير من الرئتين) أثناء النطق بالحرف المهموس عندما تردد النطق به، وامتناع ذلك عند النطق بالحرف المجهور «فأما الحروف المهموسة فنبدأ بذكرها، وهى عشرة أحرف: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والصاد، والفاء، والسين، والشين، والتاء، والثاء. وتعلم أنها مهموسة بأنك تردد الحرف فى اللسان بنَفْسِه، أو بحرف اللين الذى معه، فلا يمنع النَفَسَ، ولو رمت ذلك فى المجهورة لوجدته ممتنعا»(٧٥).

وجريان النفس مع ترداد الحرف المهموس دون الحرف المجهور هو ما نجده عند سائر اللغويين العرب، وذلك كما نرى عند ابن يعيش على سبيل المثال: «والجهر إشباع الاعتماد فى مخرج الحرف ومنع النفس أن يجرى معه، والهمس بخلافه، والذى يتعرف به تباينهما أنك إذا كررت القاف فقلت ققق (القاف المجهورة لا المهموسة) وجدت النفس محصورًا لا تحس معها بشئ منه، وتردد الكاف فتجد النفس مقاودًا لها ومساوقًا لصوتها»(٧٦).

ولم تقتصر إشارات ابن سينا على دور غضاريف الحنجرة وعضلاتها على جريان النفس وحصره، وما يترتب عليه من همس الحروف وجهرها، بل تعدتهما إلى صفات إضافية للصوت الصادر، فهى تتسبب فى وصفه بالحدة أو الثقل، وهو ما يرتبط بعدد مرات رفرفة الوترين الصوتيين «فإذا تقارب الذى لا اسم له من الدرقى وضامه حدث منه تضييق الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة، ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل»(٧٧)، وهو ما نجده عند اللغويين الغربيين مثل أبركرومبى فى قوله: «ويضبط شد الوترين الصوتيين وقوة تيار الهواء عدد مرات رفرفة الوترين الصوتيين فى الثانية الواحدة»(٧٨).

الترقيق والتفخيم :

وتتميز الألف الساكنة بتبعيتها للحرف الذى قبلها فى صفتى الترقيق والتفخيم، فيجب ترقيقها إذا وقعت بعد حرف مستقل اتفاقا، وكذلك إذا وقعت بعد حرف مستعل وجب تفخيمها، والمراد بالاستعلاء استعلاء أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، والحروف التى تتصف بالاستعلاء سبعة يجمعها قولك

(خص ضغط قظ)، والمعتبر فى الاستعلاء استعلاء أقصى اللسان سواء استعلى معه بقية اللسان أو لا، ونرى أن بقية اللسان تستعلى مع أقصاه فى حروف أربعة هى الضاد والطاء والظاء والصاد، ولا يستعلى إلا أقصى اللسان مع الحروف الثلاثة الباقية القاف والغين والخاء، ومن أمثلة تفخيم الألف لوقوعها بعد حرف مستعل: الصادقين والظالمين والقائمين والخاشعين والغائبين والضالين والطاغين، ومن أمثلة ترقيق الألف لوقوعها بعد حرف استفال: العالمين، والرحمن، وإياك، وما أشبه ذلك، وترجع تبعية الألف لما قبلها تفخيما وترقيقا إلى أن الألف ليس فيه عمل عضو أصلاً حتى يوصف بالتفخيم أو الترقيق، وإنما يخرج من الجوف من غير انضغاط صوته فى موضع(٧٩).

ويذهب جمهور علماء التجويد إلى أن الياء والواو تختلفان عن الألف فى وجود عمل عضو من أعضاء النطق فى الجملة عند النطق بهما بخلاف الألف الذى لا وجود لعمل عضو عند النطق بها، وعليه فلم يكونا تابعين لما قبلهما ترقيقا وتفخيما كالألف، وإنما يكونان مرققتين فى كل حال، ويذهب الشيخ محمد مكي نصر إلى أن الواو المدية تسلك مسلك الألف المدية فتفخم بعد المفخم، ويعلل ذلك بأن ترقيقها بعد المفخم فى نحو «والطور والصور وقوا» لا يمكن إلا بإشرابها صوت الياء المدية بأن يحرك وسط اللسان إلى جهة الفك الأسفل من الحنك، ويرى أن الواو ليس فيه عمل اللسان أصلا، أما الياء فيذهب مع غيره إلى أنها مرققة فى كل حال بل جعلوها مستفلة جدًا(٨٠).

وتتصف حروف المد (وأبعاضها بطبيعة الحال) بالانفتاح، والانفتاح تجافى كل من الطائفتين أى طائفتى اللسان والحنك عن الأخرى حتى يخرج الريح عند النطق بالحرف، وحروفه خمسة وعشرون، يجمعها قولك (من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث)، وسميت هذه الحروف ومنها حروف المد منفتحة لانفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى، وخروج الريح من بينهما عند النطق بها، وهى ما عدا حروف الإطباق فى اللغة العربية وهى: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء التى ينطبق على مخرجها من اللسان ما حاذاه من الحنك، وفى تسميتها بالمنفتحة والمطبقة تجوز لأن المطبق إنما هو اللسان والحنك، وأما الحروف فهى مطبق عندها، وكذلك المنفتح إنما هو اللسان والحنك، وأما الحروف فهى منفتح عندها(٨١).

وتتصف حروف المد بصفة الإصمات التى هى ضد لصفة الذلاقة، والمراد بالإصمات المنع، فهى قد منعت من أن تختص ببناء كلمة فى لغة العرب إذا كثرت حروفها، أى أنها حروف لا تنفرد بنفسها فى كلمة كثيرة الحروف أى رباعية فأكثر حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وعددها ستة أحرف يجمعها قولك (فر من لب) أو (مر بنفل) والمصمتة ما عداها، بيد أنه ثمة اعتراضات تقف فى وجه من يصف حروف المد بالإصمات، فما يقتضيه تعليلهم لاتصاف هذه الحروف الستة بالذلاقة، وهو أن بعضها وهو الراء واللام والنون يخرج من ذلق اللسان، وبعضها وهو الباء والفاء والميم يخرج من ذلق الشفة يجعل الواو من بينها إذ إنها من ذلق الشفة أيضاً، كما أن القول بثقل الحروف المصمتة أمر لا يتفق مع ما هو ثابت لحروف المد من لين، ومن عدم الكلفة على اللسان عند

النطق بها، وذهب بعض علماء التجويد إلى أن الألف التى هى من حروف المد ليست من الحروف المذلقة ولا من المصمتة، لأنها هوائية لا مستقر لها(٨٢).

أما لغويو الغرب فقد اكتفوا ببيان عدم وجود إغلاق أو تضييق فى مجرى الصوت بالإضافة إلى بيان وضع اللسان والفم والشفتين عند النطق بالحركات طويلها وقصيرها فيما يتعلق بصفات الحركات ومخرجها. وفى ذلك يقول جون ليونز : «ولما كانت الحركات (بقدر ما يمكن أن تتميز بشكل حاسم عن الصوامت) تتميز بغياب إعاقة تيار الهواء فى الفم فليس لها مخرج صوتى بالمعنى الذى نعرفه فى الصوامت، ويجب أن نضع فى اعتبارنا الشكل الكلى للتجويف الفموى، فهو يتنوع بلا حدود فى ثلاثة أبعاد وثيقة الصلة بالأصوات هى: مغلق/ مفتوح، وأمامى/خلفى، ومستدير/غير مستدير»(٨٣)، وهو ما نجده كذلك عند برتيل مالمبرج «بهذه المعلومات النطقية يمكننا أن نميز أغلب الأنماط الحركية المعتادة، وذلك بالإشارة إلى موضعها فى الفم، ودرجة الغلق، ووضع الشفاه»(٨٤)، وعند ديفيد أبركرومبى الذى يذهب إلى أن التمييز بين الحركات يعتمد على الموقع الذى يشغله اللسان فى الفم والحلق، وعلى عمل الشفتين»(٨٥).

وإذا كان لغويو الغرب قد اكتفوا بوصف الحركات من خلال وصف تجويف الفم وعمل الشفتين فحسب، فإنهم فى ذلك أيضاً لم يسلموا من اقتفاء أثر اللغويين العرب، فقد وردت طريقتهم هذه فى التراث العربى بما يؤكد ريادة اللغويين العرب وهيمنتهم الشاملة على هذا الفرع العلمى، فابن جنى يذهب إلى أن حروف المد الألف والواو والياء تشترك جميعها فى اتساع مخارجها إلا أنه يثبت

ما يميز الواحد منها عن الآخر بذات الطريقة التى اتبعها اللغويون الغربيون .

فالألف أوسع هذه الحروف مخرجا، والصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو، والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال بالإضافة إلى وضع الشفتين عند النطق بكل واحد منهما .

فمع الألف تجد الحلق والفم منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سُفْلاً وعُلوًا قد اكتنفت جنبتى اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعدًا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر(٨٦).

وتتأكد ريادة التراث العربى والإسلامى فى الدرس الصوتى بمناقشة صفة الجهر التى تلازم حروف المد وأبعاضها، وهى الصفة التى جعلها اللغويون العرب مقترنة بحصر النفس، وجعلها اللغويون الغربيون مقترنة بذبذبة الوترين الصوتيين المثبتين فى الحنجرة، فحصر النفس علة لذبذبة الوترين الصوتيين، وهو ما يتضح فى كلام دانيل جونز الذى يتضمن شواهد عديدة على ريادة اللغويين العرب .

فالوتران الصوتيان عنده مثبتان فى الحنجرة، ويشبهان شفتين (يمكنك أن تعيد قراءة ما ذكرناه عن ابن سينا، وما عقده من مقارنة بين الفاء والباء مع الشفتين، والهاء والهمزة مع الحنجرة)، ويتحرك الوتران الصوتيان فى اتجاه أفقى، والمسافة التى تفصل بينهما تسمى الزردمة، ويمكن أن يتباعد الوتران الصوتيان الواحد منهما عن الآخر، ويمكن أن ينضما معًا ليغلقا ممر الهواء إغلاقاً تاماً، وعندما ينضمان معًا، ويضغط الهواء فى اتجاه إبعاد الواحد منهما عن الآخر يتذبذبان فينتج صوت يعرف بالجهر، ومن هنا فإن ذبذبة الوترين الصوتيين جاءت نتيجة مباشرة لحصر النفس(٨٧).

وتتوالى الشواهد لتؤكد بما لا يدع مجالاً لأدنى شبهة فيما ذكرناه من اقتفاء اللغويين الغربيين أثر العلماء العرب والمسلمين، فالذبذبة التى تميز الحروف المجهورة عند علماء الغرب تبدأ بحصر النفس المتدفق من الرئتين بواسطة الحنجرة، ويكون ذلك بتحرك الوترين الصوتيين إلى وضع الجهر بتحرك الغضروفين الهرميين، وتضبطهما مجموعة مركبة من العضلات فيغلقان الزردمة ويمنعان تدفق هواء الزفير من الرئتين فى اتجاه الحنجرة، الأمر الذى يجعل تيار الهواء يباعد بالقوة بين الوترين الصوتيين لتتملص من بينهما كميات صغيرة من الهواء المضغوط ، فتصنع فتحة فيما بين الوترين الصوتيين يتلوها غلق، وفقا لتعاقب زيادة الضغط مع نقصانه بتتابع دفع الهواء من الرئتين، وخروج كميات صغيرة من الهواء المضغوط، وهو ما يترتب عليه الذبذبة الصوتية الصادرة من الحنجرة، والتى تجد لها صدى فى التجويف الفموى، وفى تجاويف الصدر التى أشار إليها ابن سينا والتهانوى(٨٨).

أما عن الغضروفين الهرميين ومجموعة العضلات التى تغلق الزردمة وتحصر النفس فيذكرنا بما نقلناه عن ابن سينا من أن حصر النفس عنده فى الفصل الذى أفرده لتشريح الحنجرة واللسان من كتابه أسباب حدوث الحروف يتم عن طريق غضروفين من غضاريف الحنجرة أسماهما الطرجهارى والدرقى جنباً إلى جنب مع عضلتين توجدان فى جميع الناس إحداهما تمر من حافة الدرقى إلى حافة الطرجهارى يمنة، والأخرى يسرة، وتقاوم عند حصر النفس عضل الصدر والحجاب الحاجز اللذين يعملان على دفع هواء الرئتين إلى الخارج(٨٩).

* * *

(٤)

وظيفة الحركات فى اللغة العربية

نستطيع أن نرصد للحركات فى اللغة العربية وظائف عديدة، منها أنها تمكن المتكلم من النطق، وقد أدرك اللغويون العرب تلك الوظيفة، وعبروا عنها بصورة واضحة وقاطعة، ورأوا استحالة الكلام والنطق بدونها، وهو ما نراه فى قول سيبويه: «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»(٩٠)، ونجده كذلك فى قول قطرب: «وإنما أعرب العرب كلامها، لأن الاسم فى حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً، لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج . فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنو كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين فى حشو الكلمة، ولا فى حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم فى اجتماع الساكنين يبطئون، وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة فى كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان»(٩١).

وهو ما نجده كذلك فى قول القيسى: «الكلام كله أُلِّفَ من أربعة أشياء: من حرف متحرك، ومن حرف ساكن، ومن حركة ومن سكون، وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك، وحرف ساكن. والحرف المتحرك فى كلام العرب أكثر من الساكن، كما

أن الحركة أكثر من السكون. وإنما كان الحرف المتحرك فى الكلام أكثر من الساكن، لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف آخر متحرك، وآخر بعد ذلك متحرك»[٩٢]، وفى قوله: «وإنما سمين بحروف اللين، لأنهن يخرجن من اللفظ فى لين من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف، وإنما ينسللن بين الحروف عند النطق بهن انسلالاً بغير تكلف»[٩٣].

وهو ما نجده أيضاً فى كلام محمد مكى نصر حين يفرق بين الصوت والحرف «والمراد بالحرف حرف المبنى من الحروف الهجائية، لا حرف المعنى مما هو مذكور فى كتب العربية، وإنما سمى حرفاً، لأن غاية الطرف وغاية كل شئ حرفه أى طرفه، ومادته الصوت، وهو هواء متموج بتصادم جسمين، ومن ثم عم به، ولم يختص بالإنسان بخلاف الحرف فإنه مختص بالإنسان وضعاً، والحركة تحله لإمكان اللفظ والتركيب[٩٤]، فالوظيفة التى أشير إليها هنا إمكانية اللفظ والتركيب، وهو ما نعنى به تمكين المتكلم من النطق والكلام.

وهذه الوظيفة التى أشار إليها الخليل وسيبويه وقطرب والقيسى ونصر وغيرهم، والتى تلعب فيها الحركات دورًا رئيسيا فى تمكين المتكلم من النطق لا تنفى أن يكون للحركات دور آخر، أو وظيفة أخرى تؤديها فى ذات الوقت. فالحركات لها دور فى تكوين الصيغ والأبنية، وزيادة مفردات اللغة. كما أن لها دورًا فى أواخر الكلمات تبين فيه الوظائف النحوية المختلفة، وهى التى أطلق عليها اللغويون العرب اسم حركات الإعراب .

فحروف الأصول فى اللغة العربية الفصحى تتوسل بالحركات المختلفة القصير منها والطويل، لتتشكل منها جميعاً صيغ متنوعة وأبنية عديدة تسهم فى الوفاء باحتياجات مستخدمى اللغة، كما تتوسل ببعض الصوامت لإنجاز هذه المهمة أيضاً، ومجموع الحركات الطويلة (حروف المد) ، والصوامت التى تستخدم فى تشكيل الصيغ المتنوعة هى ما يطلق عليها فى التراث العربى حروف الزيادة ويجمعها قولك (سألتمونيها) ، وتحتل حروف المد فيها المكانة الرئيسية، إذ إنها تعد الأصل فى هذه الوظيفة، ويُحْمَل عليها ما سواها، فابن يعيش يذكر أن زيادة الحروف تتناسب مع شبهها بالمد واللين تناسباً طردياً، فكلما كان الحرف شبيها بالمد واللين كلما كثر وروده زائدًا فى بنية الكلمة(٩٥).

ويحمل ابن جنى الدور الذى تؤديه الحركات القصيرة على دور حروف المد واللين أيضاً، فالحركة بعض حروف الزيادة، فالصيغة فَعِل بفتح الفاء ثم كسر العين وتفيد السلب كما فى سَهِر فلان، إن كانت عارية من حروف الزيادة فإنها ليست عارية مما هو جار لحروف الزيادة، وهو ما فيه من الحركات، فكأن فى سَهِر ألف وياء حتى كأنه ساهير(٩٦).

والوظيفة الثالثة للحركات هى بيان الوظائف النحوية المختلفة، وحالات الإعراب والبناء، وجعلها سيبويه على ثمانية مجار: النصب والجر والرفع والجزم لحركات الإعراب، والفتح والضم والكسر والوقف لحركات البناء، وجعل الأربعة الأولى للأسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التى فى أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة، والتاء، والياء، والنون، وجعل الأربعة الأخرى للأسماء غير

المتمكنة المضارعة لما ليس باسم ولا فعل مما جاء لمعنى ليس غير، نحو سوف وقد، وللأفعال التى لم تجر مجرى المضارعة، وللحروف التى ليست بأسماء ولا أفعال، ولم تجئ إلا لمعنى(٩٧).

واستخدمت حروف المد الثلاثة كذلك لبيان الوظائف النحوية المختلفة، ففى المثنى يجعل سيبويه حروف المد واللين حروف الإعراب «واعلم أنك إذ ثنيت الواحد لحقته زيادتان: الأولى منهما حرف المد واللين، وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون، ويكون فى الرفع ألفا.. ويكون فى الجر ياء مفتوحًا ما قبلها... ويكون فى النصب كذلك... وتكون الزيادة الثانية نونًا كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين(٩٨).

وفى الجمع تستخدم حروف المد لبيان الوظائف النحوية، وحالات الإعراب، ويلحق جمع المذكر السالم زيادتان الأولى منهما حرف المد واللين، والثانية نون. وحال الأولى فى السكون وترك التنوين وأنها حرف الإعراب، حال الأولى فى التثنية، إلا أنها واو مضموم ما قبلها فى الرفع، وفى الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها ونون مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الاثنين، كما أن حرف اللين الذى هو حرف الإعراب مختلف فيهما، وذلك قولك: المسلمون، ورأيت المسلمين، ومررت بالمسلمين(٩٩).

وفى جمع الإناث جعلوا التاء فى الجر والنصب مكسورة، لأنهم جعلوا التاء التى هى حرف الإعراب كالواو والياء، والتنوين بمنزلة النون لأنها فى التأنيث نظيرة الواو والياء فى التذكير فأجروها مجراها(١٠٠).

وطائفة الممنوع من الصرف توضح الفتحة والضمة وحدها حالات إعرابها، ووظائفها النحوية المختلفة، وذلك تشبيها لها بطائفة الأفعال، وفى ذلك يقول سيبويه: «واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء فى الكلام ووافقه فى البناء أجرى لفظه مجرى ما يستثقلون، ومنعوه ما يكون لما يستخفون، وذلك نحو أبيض واسود وأحمر وأصفر، فهذا بناء أذهب وأعلم، فيكون فى موضع الجر مفتوحاً»(١٠١).

وطائفة الأسماء الخمسة تكون حروف المد دالة على وظائفها النحوية، وحالاتها الإعرابية يقول سيبويه: «ومنه مررت برجل ذى مال، أى صاحب مال»(١٠٢)، ويقول فى موضع ثان: «هذا أخوك، ومررت بأبيك»(١٠٣)، وفى موضع ثالث يذكر عددًا منها مثل أبوك وأخوك وفوك وذو(١٠٤).

وثمة وظيفة رابعة لحروف المد واللين، بيد أنه فى هذه المرة لمضاعفاتها، ومضاعفة حرف المد أو زيادته مطلقا هو ما يعرف فى التراث العربى بالمد، ويعنى عند القراء إطالة الصوت بحرف من حروف المد، وأسبابه أو موجباته نوعان: لفظى ومعنوى، والمراد باللفظى الهمز أو السكون، والمراد بالمعنوى المبالغة فى النفى، وهو سبب قوى عند العرب، لكنه ضعيف عند قراء القرآن الكريم(١٠٥).

فالهمز سبب لثلاثة أنواع من المد: المتصل، والمنفصل، والبدل. فإن تقدم الهمز على حرف المد فهو المد البدل نحو آمنا بالله، وإن تأخر عنه وكان معه فى كلمة واحدة فهو المد المتصل نحو ما شاء الله، وإن انفصل عنه بأن كان حرف المد آخر الكلمة والهمز أول

الكلمة الثانية فهو المد المنفصل نحو ﴿ آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ (الشورى/١٥)، والسكون سبب لنوعين منه، ولا يكون إلا بعد حرف المد، فإن كان ثابتا فى الوصل والوقف فهو المد اللازم نحو الصاخة (عبس/٣٣)، وإن كان ثابتا فى الوقف دون الوصل فهو المد العارض للسكون نحو نستعين (الفاتحة/٦).

والوظيفة التى نعرض لها هنا تتعلق بالمد لسبب معنوى لا لفظى، وهو قسمان: مد التعظيم فى لا النافية فى كلمة التوحيد نحو لا إله إلا الله، ولا إله إلا هو العزيز الحكيم، ولا إله إلا أنت سبحانك، وقد ورد هذا المد فى هذه المواضع عند أصحاب القصر فى المنفصل لهذا المعنى، ويسمى أيضا مد المبالغة، لأنه طلب للمبالغة فى نفى الألوهية عما سوى الله تعالى(١٠٦).

والمد فى كلام العرب يكون فى الدعاء، وفى الاستغاثة، وفى المبالغة فى نفى الشئ، ويستحب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر، وفى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم برواية ابن عمر رضى الله عنهما: «من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال دار سمى بها نفسه فقال ذو الجلال والإكرام، ورزقه الله النظر إلى وجهه الكريم»، وروى عن أنس رضى الله عنه «من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب» وهما حديثان ضعيفان يعمل بهما فى فضائل الأعمال(١٠٧).

وثمة نوع آخر من المد هو مد التبرئة فى نحو لا ريب (البقرة/٢)، ولاشية (البقرة/٧١)، ولا قبل لهم (النمل/٣٧)، ولا إكراه (البقرة/٢٥٦)، ولا إثم عليه (البقرة/٢٠٣)، ولا معقب لحكمه

(الرعد/٤١)، ولا يبلغ به حد الإشباع بل يقتصر فيه على التوسط(١٠٨).

والمد للسبب المعنوى سواء للتعظيم أو للتبرئة يكون وسطاً لا يبلغ الإشباع لضعف سببه عن السبب اللفظى، وقد يجتمع السببان اللفظى والمعنوى فى نحو لا إله إلا الله (الصافات/٣٥)، ولا إكراه فى الدين، ولا إثم عليه عند من يمد المنفصل، فيمد مدًا مشبعاً على أصله لأجل الهمزة، ويلغى المعنوى إعمالاً للقوى وإلغاء للضعيف(١٠٩).

وثمة وظيفة تلعب فيها الحركات دورًا رئيسياً فتكون نواة المقطع الصوتى، والمقطع الصوتى أقل ما يتلفظ به، ولا شئ أقل من المقطع يمكن انتاجه، وتسمى حركة العضلات التنفسية المنتجة للمقطع نبرة صدرية، أو نبضة نفسية، أو نبضة مقطعية، فالعضلات التنفسية تنقبض وتنبسط بصورة متعاقبة بمعدل خمس مرات تقريبًا فى الثانية حتى إن الهواء يطرد على صورة نفخات صغيرة متعاقبة، وتكون كل انقباضة من هذه الانقباضات مع نفخة الهواء الناتجة أساس المقطع، ولهذا فإن المقطع الصوتى قد ينظر إليه بوصفه حركة عضلية لأعضاء النطق، ينتج عنها وحدة نطقية هى المقطع الصوتى، فالمرء لا ينطق حرفا حرفا، ولا كلمة كلمة، وإنما مقطعا مقطعاً(١١٠).

وتعرف اللغة العربية ستة أنواع من المقاطع، أولها يتكون من صامت وحركة قصيرة، وثانيها يتكون من صامت وحركة طويلة، وثالثها يتكون من صامت وحركة قصيرة وصامت، ورابعها يتكون من صامت وحركة طويلة وصامت، وخامسها يتكون من صامت وحركة قصيرة وصامتين، وسادسها يتكون من صامت وحركة طويلة

وصامتين، ومن أمثلتها بحسب الترتيب : بِ، وما ، ولم، وباب، وبنت، وجانّ(١١١).

ولا يرد فى كل مقطع سوى حركة واحدة قصيرة أو طويلة، وتعد الحركة فى المقطع نواة له، وفى اللغة العربية لا يمكن لمقطع أن يبدأ بحركة، كما أنه لا يمكن أن يبدأ بصامتين، كما لا يمكن أن يتجاور أكثر من صامتين فى نهاية المقطع، ويبدو من مكونات المقاطع الصوتية فى اللغة العربية الاختلاف الوظيفى بين واو المد وواو اللين، وياء المد وياء اللين. فالواو والياء اللينتان تقعان من المقاطع الصوتية موقع الصوامت، ومن ثم فنستطيع أن نثبت لها هنا فارقاً مميزًا لها عن حركات المد وأبعاضها يضاف إلى ما ميزه اللغويون العرب من وجود مخرج محقق لها فى الشفتين وشجر الفم، ويعد الفارق الذى يتعلق بالمخرج فارقاً نطقياً، ويعد الفارق الذى يتعلق بالمقاطع الصوتية فارقاً وظيفياً.

وإذا جعلنا المقاطع الصوتية التى يمكن أن ترد فى اللغة العربية يجاور بعضها بعضاً على النحو التالى: ص ح ، ص حَ ، ص ح ص ، ص حَ ص ، ص ح ص ص ، ص حَ ص ص فإننا نستطيع أن نجد فى التراث العربى البديل العلمى والعملى لها متمثلا فى تتابع الصوامت والمصوتات كما فى قول القيسى : «لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف آخر متحرك، وآخر بعد ذلك متحرك، ولا يجوز أن يبتدأ بساكن، ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدًا ، إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو يكون الثانى سكن للوقف»(١١٢) – الذى يعبر عن الحقائق السابقة التى ربطناها بالمقاطع الصوتية ألا وهى أن المقطع الصوتى فى اللغة العربية لا يبدأ بحركة، كما أنه لا يمكن أن يبدأ بصامتين بل يضيف حقائق أخرى هى أن المقطعين الخامس والسادس لا يردان إلا فى الوقف .

وثمة ملاحظات أخرى فى التراث العربى تضيف إلى الحقائق السابقة قيودًا تتصل بالمقطع الرابع فالساكنان يلتقيان على حدهما، والمراد بحدهما أن يكون الأول حرف لين، والثانى مدغماً[١١٣]، وعليه فإن المقطع الرابع يأتى فى الوقف بلا قيد ولا شرط، ويأتى فى الوصل شريطة أن يكون صامتة الأخير مدغمًا فى الصامت الأول من المقطع التالى له.

وإذا كنا قد رأينا اللغويين الغربيين يقتفون أثر العلماء العرب والمسلمين فى أقسام الدراسة السابقة التى تركزت على جوانب التحليل النطقى للحركات فى التراث العربى، فإننا نجدهم فيما يتصل بهذا القسم وقد جحدوا فضل العربية وفضل علمائها، وسعوا للنيل من العروبة والإسلام، وراحوا ينسجون الكذب، ويزيفون الواقع فنرى منهم من يذهب - اعتمادًا على ما جاء على لسان قطرب من أن الحركات تلعب دورًا فى تمكين الناطق من الكلام بسهولة ويسر - إلى أن الإعراب وهم وخيال اختلقه النحاة، ونحن إذ نهدى إليهم نصوصا أخرى - غير تلك التى اعتمدوا عليها فى فريتهم - نسبناها إلى سيبويه والخليل والقيسى ونصر وغيرهم نحيطهم علماً بما جاء فى مقدمة هذا القسم وحواشيه من أن الحركات فى اللغة العربية لها وظائف عديدة، ولا يمنع أن تقوم الحركة الواحدة بأكثر من وظيفة فى آن واحد، فتكون مثلا لتيسير النطق، وتمكين المتكلم، وبيان حالات الإعراب والوظائف النحوية فى آن واحد، أو تكون لتيسير النطق وتمكين المتكلم ، وصياغة الأبنية والمفردات فى آن واحد أيضاً بما يجعلنا نفيد من نصوص التراث العربى المنسوبة لقطرب وغيره من ناحية، ونرد على ما افتراه البعض من ناحية أخرى[١١٤].

* * *

(٥)

الحركـــات الفرعيـــة

ذكر اللغويون العديد من الحركات الفرعية التى يمكن أن تضاف إلى ما نعرفه من حركات أساسية تطرقنا إليها وهى الفتحة والضمة والكسرة، فهناك الفتحة الممالة نحو الكسرة، وذلك ما فى عابد، وعارف، والإمالة عندهم أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التى بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة(١١٥).

ولا تقتصر الإمالة على ألف المد، فقد تطال الفتحة دون أن يكون بعدها ألف، ومن ثم فإن الإمالة تطال الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة، وفى ذلك يقول ابن جنى: «وقد أمالوا أيضاً هذه الفتحة وإن لم تكن بعدها ألف، فقالوا: من عِمرو ، ورأيت خِبَط رياح، وقرأ بعضهم: فإنهم لا يكذِبونك، وقرئ أيضاً: وإنا إليه رَاجعون ، و رِأى القمر»(١١٦).

وهناك الفتحة الممالة نحو الضمة، وهى التى تكون قبل ألف التفخيم(١١٧)، ومن ثم فقد خصت الفتحة المفخمة بالإمالة نحو الضمة، وذلك نحو الصلاة والزكاة وقام وصاغ ودعا وغزا، وهذه الإمالة توصف بها الفتحة كما توصف بها الألف المدية «وكما أن الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هى مشوبة

بشئ من الضمة، فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها»(١١٨).

وجعل اللغويون والقراء الإمالة على نوعين إمالة صغرى وإمالة كبرى فعلم أن الفتحة يمكن أن تكون ممالة إمالة صغرى تجاه الكسرة، ويمكن أن تكون ممالة إمالة كبرى تجاهها، وبإشباعها نكون بإزاء ألف المد الخالصة أو الممالة إمالة صغرى أو كبرى فنكون بإزاء أربع حركات إذا ما اضفنا إلى صور الفتحة (أو ألف المد) الثلاثة السابقة الكسرة الخالصة (أو ياء المد)(١١٩).

وعلى شاكلتها تكون الفتحة المفخمة التى قبلها حرف تفخيم، أو التى تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلُاة، والزكُاة، ودعُا وغزُا ، وقُام، وصُاغ - حيث لا تكون الفتحة فتحة محضة، ولا تكون الألف ألفا محضة، وإنما يشوبهما شئ من الضمة أو الواو - ممالة إمالة صغرى وكبرى، (وليس بالضرورة أن يرد مثل ذلك فى القراءات القرآنية لأنها سنة متبعة فما يصح لغة لا يجب قراءة كما قال أئمة القراءة) فنكون بإزاء أربع حركات إذا ما أضفنا إلى صور الفتحة السابقة (الفتحة الخالصة، والفتحة الممالة إمالة صغرى، والفتحة الممالة إمالة كبرى) الضمة الخالصة أو واو المد .

وتصنع هذه الحركات الفرعية نظامًا سباعيًا أو ثمانياً يمكن توضيحه من خلال اتخاذنا الفتحة الخالصة أساسًا له ثم السير بعيدًا فى اتجاه الكسرة للفتحة الممالة إمالة صغرى ثم للفتحة الممالة إمالة كبرى ثم فى النهاية إلى الكسرة الخالصة، والرجوع مرة أخرى إلى الفتحة الخالصة ثم السير بعيداً فى اتجاه الضمة للفتحة المفخمة

الممالة إمالة صغرى تجاه الضمة ثم الفتحة الممالة إمالة كبرى ثم فى النهاية إلى الضمة الخالصة، أو اتخاذنا الفتحة المرققة والفتحة المفخمة أساسين للوصول إلى ثمانى حركات لا سبعة كما فى توضيحنا الأول .

وهذه النظم النظرية نجدها عند مؤلفى الغرب، فعلى سبيل المثال نجد عند دانيل جونز التقسيم الثمانى، وهو الذى أسماه نظام الحركات الأساسية، وتعده المؤلفات الغربية وما دار فى فلكها من مؤلفات عربية إنجازا كبيرًا، مما يجعلنا نذهب مطمئنين إلى أن هذا الإنجاز ينبغى أن ينسب إلى أصحابه اللغويين العرب، ويمكننا عرض أوجه التطابق بين نظام الحركات الأساسية عند دانيل جونز، وما فصله ابن جنى واللغويون العرب والقراء من خلال الرسم التالى .

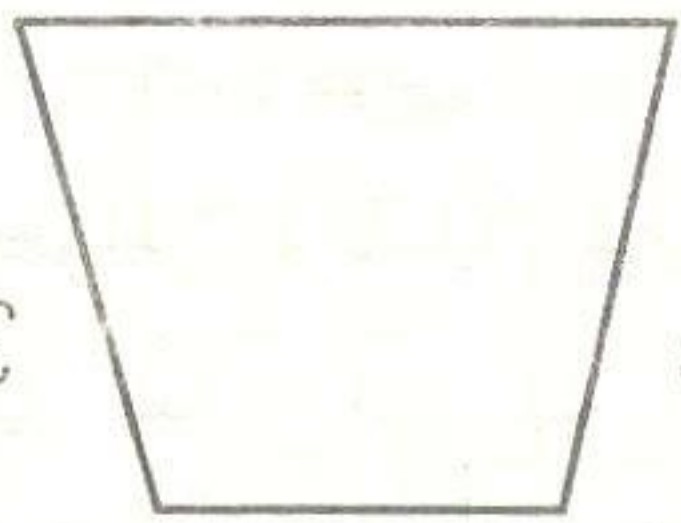

(١) شكل توضيحى ينظم الحركات المعيارية الأساسية لجونز وفكرة الحركات الفرعية فى التراث العربى

بيد أن ما جاء فى التراث العربى يمكن أن ينسج شكلاً ثلاثى الأضلاع، إذ إن الفتحة وألف المد قد تكون مرققة، وقد تكون مفخمة، وقد تمال المرققة إمالة صغرى، وقد تمال إمالة كبرى، وقد تمال المفخمة نحو الضمة، وهذه الأخيرة هى التى تفسر ما قاله ابن جنى(١٢٠) عن إمالة الفتحة التى تكون قبل ألف التفخيم نحو

الضمة، وذلك كما فى قُام ، وصُاغ إذ إن النطق بها كحركة غير فرعية يكون بتفخيمها إذ سبقها حرف استعلاء هو القاف فى قام، والصاد فى صاغ فكيف تكون إذا حرفاً فرعيًا مستحسناً - وفق عبارة ابن جنى - إذا لم يكن الأمر فيها إمالة كبرى نحو الضمة بخلاف الإمالة الصغرى التى هى مطلق تفخيم الفتحة والألف إذا ما جاءتا بعد حرف من حروف الاستعلاء .

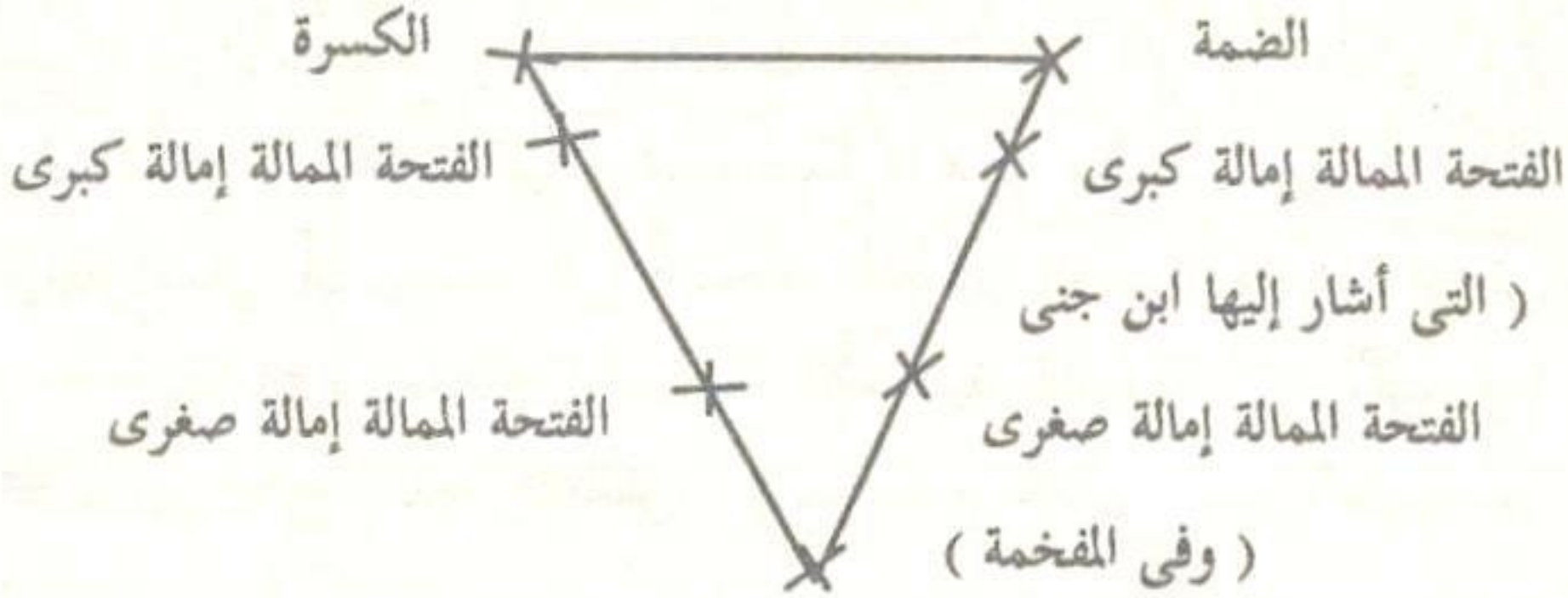

(٢) شكل توضيحى ينظم الحركات الأصلية والفرعية فى التراث العربى

والحركات الأساسية المعيارية التى تنسب لدانيل جونز هى مجموعة من النقاط المرجعية الشكلية يبلغ عددها ثمانى نقاط، وتعد النقطة الأولى منها الموضع الأعلى الذى يمكن أن يصل إليه اللسان دون حدوث احتكاك [i] ، وتعد النقطة الثانية الموضع الأدنى الذى يكون فيه اللسان قادرًا على الإنجاز[a]، أما النقطتان الثالثة والرابعة منهما ما يقسمان المسافة التى تتوسط النقطتين الأولى والثانية لتمثل الإمالة الصغرى والإمالة الكبرى تجاه الكسرة، وتكون الحركات التى تمثلها هذه الحركات الأربعة باستخدام مقدم اللسان دون استدارة الشفتين، وباستخدام مؤخر اللسان نكون بإزاء حركات

أربع مناظرة للحركات الأربعة السابقة، وتشتمل على استدارة الشفتين فيما عدا الحركة التى تناظر الفتحة المفخمة فى اللغة العربية.

ولا تقتصر تبعية دانيل جونز للغويين العرب على الحركات الأساسية التى تشير إليها النقاط المرجعية الثمانية، بل تجاوزتها إلى ما أسماه حركات ثانوية، وهى التى تتناظر مع المجموعة الأولى التى تناولناها فى الفقرة السابقة، ولا تختلف عنها إلا فى عنصر استدارة الشفتين.

فتغيير عنصر استدارة الشفتين مع الكسرة والضمة مما ينتج عنه الحركات الثانوية وهى كسرة مشوبة بالضمة، وضمة مشوبة بالكسرة هى ما نجدها فى كتب اللغويين العرب وعلماء القراءات والتجويد، فبخصوص الكسرة المشوبة بالضمة يقول ابن جنى : «وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو رقِيل و بِيع و غِيض و سِيق، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو على ما تقدم فى الألف»(١٢١)، كما يقول بخصوص الضمة المشوبة بالكسرة: «وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك فى الإمالة مررت بمذعُور وهذا ابن بُور، نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو أيضاً بعدها هى مشوبة بروائح الياء، وهذا مذهب سيبويه، وهو الصواب لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها»(١٢٢).

وقد تعمق اللغويون العرب فى طبيعة العلاقة بين الحركات الأساسية والحركات الفرعية، فنجد ابن جنى يفسر إمالة الفتحة

ناحية الكسرة والضمة، وعدم إمالة الكسرة والضمة ناحية الفتحة «الفتحة أول الحركات وأدخلها فى الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صور الفم والشفتين اجتازت فى مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى وراءه»(١٢٣) كما يفسر إمالة الكسرة إلى الضمة وإمالة الضمة إلى الكسرة «أما ما نراه من إشراب الضمة رائحة الكسرة، وإشراب الكسرة رائحة الضمة على الرغم من كون الضمة فوق الكسرة فإن ذلك لما بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب»(١٢٤).

ولم يقدم الشكل الرباعى الذى ابتكره دانيل جونز وأكده لغويون جاءوا من بعده متوسلين بالتصوير الفوتوغرافى بأشعة إكس لتحديد النقاط العليا من اللسان إسهاما عمليا عند التعامل الفعلى مع أصوات الحركات فى هذه اللغة أو تلك، وذلك لأن الملاحظة المباشرة لمؤخرة اللسان أو مقدمته نادرًا ما تكون ممكنة، ومن ثم كان الاعتماد فى تصنيف هذه الحركات على استخدام المعايير السمعية أو النطقية التى برع فيها اللغويون العرب وتناقلتها أجيال القراء جيلا بعد جيل .

* * *

نتائج البحث وتوصياته

١ - احتلت الحركات فى التراث العربى قسماً برأسه فى النظام الصوتى للعربية، وتميزت بأمور تتعلق بمجرى الصوت، وبالفترة التى يقتضيها النطق بكل نوع منها، والقسم الرئيسى الآخر الذى يقابل الحركات هو الصوامت، وثمة طائفة أخرى من الأصوات تقع فى حالة وسط بينهما تضم الواو والياء اللينتين، بيد أن اللغويين العرب قد جعلوهما من الصوامت، وقد اقتفى علماء الغرب أثر العلماء العرب والمسلمين فى ذلك كله.

٢ - تتميز الحركات بغياب مخرجها واقعًا وثبوته حكما ، فمخرج حروف المد مقدر، وهذا المصطلح يطابق التقدير فى الإعراب، وتتميز الحركات بعضها عن بعض من خلال شكل التجويف الفموى، وشكل الشفتين بالإضافة إلى عنصر الزمان، وهو ما اقتفى علماء الغرب أثر علماء العرب والمسلمين فيه كذلك .

٣ - أثبت اللغويون العرب للحركات صفات عديدة غاب كثير منها عن اللغويين الغربيين، وما وجدناه عندهم منها اقتفوا فيه أثر ما جاء فى التراث العربى، لاسيما الجهر، ودور التجويف الفموى والشفتين فى التمييز بين الحركات بعضها وبعض .

٤ - أوضح البحث أن للحركات وظائف عدة هى : تمكين المتكلم من النطق، وإثراء مفردات اللغة العربية، وبيان الوظائف النحوية، وبيان بعض المعانى كما فى مد التبرئة ومد التعظيم،

وتشكيل المقاطع الصوتية، وفند شبهة افتراها بعض المستشرقين بخصوص الحركات الإعرابية .

٥ - يوصى الباحث ببحث إسهام العرب والمسلمين فى مجالى علم الأصوات الفيزيائى وعلم الأصوات السمعى فى غير مجال الدراسات اللغوية العربية كأن يبحث عنه فى مجال الطب والفيزياء عند العرب والمسلمين .

٦ - يوصى الباحث بالعناية الفائقة بحملة القرآن الكريم ، وحملة الإجازات العلمية بالقراءات القرآنية، واعتبار علم التجويد والأداء القرآنى أساسًا لعلم الأصوات فى اللغة العربية على المستويين التربوى والأكاديمى .

* * *

هوامش البحث

(١) مالمبرج ، ص ٨٠

(٢) نفسه ، وانظر .

(٣) مالمبرج ، ص ٨١ .

(٤) ليونز، ص ص ٨٩ – ٩٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ص ٩١ – ٩٢ .

(٦) انظر على سبيل المثال : أنيس ، الأصوات اللغوية، ص ٣٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢، ١٢٠، ١٤٧ ، ١٤٨ ، وبشر، علم اللغة العام – الأصوات، ص ١٤٧ ، وبشر، دراسات فى علم اللغة، ص ١١٣ .

(٧) الفارابى، ص ١٠٧٢ .

(٨) التهانوى ، ج٢ ، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٩) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص ٢٩ .

(١٠) ابن يعيش ، ج٩ ، ص ٦٠ .

(١١) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص ٢٨ .

(١٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٢ .

(١٣) المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٣ .

(١٤) القيسى ، ص ١٠٩ .

(١٥) ابن يعيش ، ج٩ ، ص ٦٤ .

(١٦) مالمبرج ، ص ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ .

(١٧) ليونز ، ص ١٠٢ .

(١٨) أبركرومبى ، ص ٦١ .

(١٩) ابن سينا ، ص ٢٠ .

(٢٠) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص ص ٧ – ٨ .

(٢١) المرجع السابق ، ج١ ، ص ص ٨ ، ٦٥ .

(٢٢) انظر : سيبويه ، ج٤ ، ص ٢٤٢ .

(٢٣) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ج١ ، ص١٧ ، وانظر: التهانوى، ج٢ ، ص٣٢٢، وابن يعيش، ج٩ ، ص ٦٤ .

(٢٤) ابن جنى، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص ١٧ .

(٢٥) المرجع السابق ، ج١ ، ص ص ١٧ - ١٨ .

(٢٦) مالمبرج ، ص ٦٤ .

(٢٧) ليونز، ج ١ ص ١٠٩ .

(٢٨) أبركرومبى ، ص ١٢٢ .

(٢٩) مالمبرج ، ص ١٠٠ .

(٣٠) ليونز ، ج ١ ، ص .

(٣١) أبركرومبى ، ص ١٢٦ .

(٣٢) نصر ، ص ٤٧ .

(٣٣) مالمبرج ، ص ١٠٠ .

(٣٤) نصر ، ص ١٣٠ ، وانظر أيضاً : المرصفى ، ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣٥) مالمبرج ، ص ١٠٣ .

(٣٦) ابن سينا ، ص ص ٤١ - ٤٢ ، وفيه ما يظهر مبررات إسقاط سيبويه لمخرج الجوف، وتوزيع حروف على أقصى الحلق، وشجر الفم، والشفتين .

(٣٧) ليونز، ج ١ ، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣٨) أبركرومبى ، ص ١٢٢ .

(٣٩) سيبويه ، ج ٤ ، ثص ٤٣٣ .

(٤٠) نفسه .

(٤١) نفسه .

(٤٢) انظر على سبيل المثال : ابن القاصح ، ص ٤٠٥ .

(٤٣) من الملاحظ أن الهمزة أوقعت موقع الألف والواو والياء بالنظر إلى صورتها المسهلة لا المحققة . انظر : ابن منظور ، ج١ ، ص ١٣ ، وانظر أيضا : القسطلانى ، ج١ ، ص ١٨٩ ، وابن يعيش ، ج١٠ ، ص١٢٤ ، والتونى، ص ص ١٥ - ٣٢ .

(٤٤) انظر القارى ، ص ١١ ، وانظر أيضاً : القيسى، ص ٩٤ ، والمرصفى ، ص ٥٩ .

(٤٥) الأنصارى ، ص ١١ .

(٤٦) نصر ، ص ٣٣ ، وانظر أيضاً : القسطلانى ، ج ، ص ١٩٠ .

(٤٧) القارى ، ص ١١ .

(٤٨) نصر ، ص ٣٢ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ص ٤١ - ٤٢ .

(٥١) القارى ، ص ١٠ ، ونصر ، ص ٣٢ .

(٥٢) نصر ، ص ٣٢ .

(٥٣) نفسه .

(٥٤) القارى ، ص ١٢ ، ونصر ، ص ٣٤ .

(٥٥) القارى ، ص ١٤ ، ونصر، ص ٣٧ .

(٥٦) نصر ، ص ٤١ .

(٥٧) المرجع السابق ، ص ص ٣٤ ، ٤١ .

(٥٨) القارى ، ص ١١ ، والأنصارى ، ص ١٠ .

(٥٩) القيسى ، ص ٩٥ .

(٦٠) ليونز ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٦١) أبركرومبى ، ص ١٢٢ .

(٦٢) مالمبرج ، ص ٦٤ .

(٦٣) انظر : سيبويه ، ج٤ ، ص٣٣٤ ، وابن يعيش ، ج١٠ ، ص ١٣٠ .

(٦٤) سيبويه، ج٤ ، ص ٣٣٤ ، والمرصفى، ص٩١ .

(٦٥) القيسى ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ونصر، ص ص ٥٨ - ٥٩ .

(٦٦) المرصفى ، ص ٢٨٣ .

(٦٧) الدمشقى، ص ص ٧٥١ - ٧٥٢ ، وابن القاصح، ص ٤٠٩ ، ونصر، ص ص ٤٧ ، ٦٤ ، المرصفى، ص ٩٦ .

(٦٨) نصر، ص ٥٨ .

(٦٩) سيبويه، ج٤ ، ص ٣٣٤ .

(٧٠) نصر، ص ٤٤ . (*) هناك حركات مهموسة فى بعض اللغات لكن الغالب فى الحركات هو الجهر .

(٧١) التهانوى، ج٢ ، ص ٣٢١ .

(٧٢) عن الخلاف بين اللغويين العرب والمعاصرين بشأن جهر الهمزة أو همسها انظر : التونى، ص ص ٣ - ١٣ .

(٧٣) ابن سينا ، ص ٣٦ .

(٧٤) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٧٥) المبرد ، ج١ ، ص٣٣١ ، وانظر أيضاً : التهانوى، ج٢ ، ص٣٢٢، وابن يعيش، ج١٠، ص١٣١.

(٧٦) ابن يعيش ، ج١٠ ، ص١٢٨ .

(٧٧) ابن سينا، ص ٩

(٧٨) ، ٢٧, .

(٧٩) انظر: ابن القاصح، ص ص ٤٠٩ - ٤١٠ ، ونصر، ص ص ٤٩ ، ٦٥ ، والمرصفى، ص ١٢١ .

(٨٠) نصر، ص ص ٤٩ - ٥٠ ، ص ص ٦٤ - ٦٥ .

(٨١) الدمشقى، ص ٧٥٢ ، نصر ، ص٥٢ .

(٨٢) نصر، ص ص ٥٢ - ٥٣ .

(٨٣) ليونز، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٨٤) مالمبرج ، ص ٥٩ .

(٨٥) أبركرومبى ، ص ٨٧ .

(٨٦) ابن جنى، سر صناعة الإعراب ، ص ٨ .

(٨٧) ، ٨, .

(٨٨) انظر : ، .. ٣٦-٥٧ .

(٨٩) ابن سينا ، ص ١٠ .

(٩٠) سيبويه ، ج٤ ، ص ٢٤١ .

(٩١) السيوطى، ج١ ، ص٩٣ .

(٩٢) القيسى، ص ٩٧ .

(٩٣) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٩٤) نصر، ص ٢٨ .

(٩٥) ابن يعيش، ج١ ، ص٦ .

(٩٦) ابن جنى، الخصائص، ج٣، ص ص ٨٠ - ٨١ ، وانظر: رمضان، ص ٢١١.

(٩٧) سيبويه، ج١ ، ص ص ١٣ - ١٥ .

(٩٨) المرجع السابق، ج١ ، ص ص ١٧ - ١٨ .

(٩٩) المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٨ .

(١٠٠) نفسه .
(١٠١) المرجع السابق، ج٢ ، ص٢١ .
(١٠٢) المرجع السابق، ج١ ، ص ٤٣٠ .
(١٠٣) المرجع السابق، ج٢ ، ص٥ .
(١٠٤) المرجع السابق، ج٣ ، ص ٤١٢ ، وانظر: المبرد ، ج٣ ، ص١٢٠ ، ج٤ ، ص٢٣١.
(١٠٥) انظر على سبيل المثال : القيسى، ص ١٦٠ ، والمرصفى ، ص ٢٧٨ .
(١٠٦) نصر ، ص ١٣١ ، والمرصفى، ص ٢٧٨ .
(١٠٧) نصر ، ص ١٣١ .
(١٠٨) المرصفى، ص ٢٧٨ .
(١٠٩) نصر ، ١٣١ .
(١١٠) ابركرومبى ، ص ص ٥٥ - ٥٨ ، ومالمبرج ، ص ٩١ .
(١١١) انظر : ، .. ٧٥-٩٨ .
(١١٢) القيسى ، ص ٩٧ .
(١١٣) انظر : ابن يعيش ، ج٩ ، ص ص ١٢٠ - ١٢٣ .
(١١٤) انظر : أنيس ، من أسرار اللغة، ص ص ١٩٨ - ٢١٦ ، وانظر أيضاً : عبد التواب، ص ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(١١٥) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ج١ ، ص ص ٥١ ، وابن يعيش، ج٩ ، ص٥٤ .
(١١٦) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٥٢ . وانظر أيضاً : ابن يعيش، ج٩ ، ص ٦٥ ، والقيسى، ص١٠٨ .
(١١٧) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٥٢، وانظر أيضاً : القيسى ، ص ص ١٠٩ ، ١٦١ ، ونصر، ص ٣٠ .
(١١٨) انظر : رمضان ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
(١١٩) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٥٢ .
(١٢٠) المرجع السابق، ج١ ، ص ص ٥٢ - ٥٣ .
(١٢١) نفسه .
(١٢٢) المرجع السابق، ج١ ، ص ص ٥٣ - ٥٤ .
(١٢٣) نفسه .

* * *

المراجع العربية والأجنبية

١ – أبركرومبى، ديفيد : مبادئ علم الأصوات العام ، ترجمة محمد فتيح ، القاهرة، مطبعة المدينة، ١٩٨٨.

٢ – الأنصارى، زكريا : شرح الجزرية (الدقائق المحكمة فى شرح المقدمة)، القاهرة، مكتبة جامعة القاهرة (١٨٧٦٦) مخطوط .

٣ – أنيس، إبراهيم : الأصوات اللغوية ، ط٤ ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١ .

٤ – أنيس ، إبراهيم ، من أسرار اللغة ، ط ٥ ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥.

٥ – بشر، كمال محمد : دراسات فى علم اللغة، ط٢، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧١،

٦ – بشر، كمال محمد : علم اللغة العام – القسم الثانى الأصوات ، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣ .

٧ – التهانوى، محمد على الفاروقى : كشاف اصطلاح الفنون، طهران، مكتبة خيام، ١٩٤٧.

٨ – التونى ، مصطفى زكى : الهمزة فى اللغة العربية – دراسة لغوية ، القاهرة ، دار شمس المعرفة ، ١٩٩٥ .

٩ – ابن جنى ، أبو الفتح عثمان : الخصائص، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢ .

١٠ – ابن جنى، أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوى، دمشق ، دار القلم، ١٩٩٣.

١١ – الدمشقى، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم : إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٩٨١.

١٢ – رمضان، محب الدين : فى صوتيات العربية، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٧٩ .

١٣ – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٤ – ابن سينا ، أبو على الحسين بن عبد الله : أسباب حدوث الحروف، طهران، دانشكاه، ١٣٣٣ (حسب التقوين الإيرانى) .

١٥ – السيوطى : عبد الرحمن جلال الدين : الأشباه والنظائر فى النحو، ط١ ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .

١٦ – عبد التواب ، رمضان : فصول فى فقه العربية، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى، ١٩٨٧ .

١٧ – الفارابى، ابن نصر محمد بن محمد بن طرخان : الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير محمد أحمد الحفنى، القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٨٧ .

١٨ – القارى ، على بن سلطان محمد : المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٩٤٨ .

١٩ – ابن القاصح، أبو القاسم على بن عثمان : سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٩٥٤ .

٢٠ – القسطلانى، شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

٢١ – القيسى، أبو محمد مكى بن أبى طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط٢، عمان، دار عمار، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٢٢ – ليونز ، جون : اللغة وعلم اللغة ، ترجمة مصطفى زكى التونى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٧ .

٢٣ – مالمبرج ، برتيل : الصوتيات ، ترجمة محمد حلمى خليل، الخرطوم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥ .

٢٤ – المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ .

٢٥ – المرصفى، عبد الفتاح سيد عجمى : هداية القارى إلى تجويد كلام البارى، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية ، ١٩٨٢ .

٢٦ – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥ .

٢٧ – نصر ، محمد مكى : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، وأولاده بمصر ، ١٣٤٩ هـ .

٢٨ – ابن يعيش : موفق الدين يعيش على بن يعيش : شرح المفصل، القاهرة، مكتبة المتنبى، بدون تاريخ .

المراجع الأجنبية :

29. Abercrombie, D. Elements of General Phonetics. Edinburgh, Edinburgh University Press, 1977.

30. Brosnahan, L. F. A Malmberg, B., Introduction to Phonetics, Combridge, W. Hefferasons LTD, 1970.

31. Crystal, D. A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, Cambridge, W. Heffer A Sons LTD, 1970.

32. Fodor, J. A Katz, J. (ed.), The Structure of Language- Reading in the philsophy of language, Prentice- Hall, Inc- Englewood Cliffs, New Jersey, 1964.

33. Halle, M., On the Basses of Phonology, in Fodor, J. A Katz, J. (ed.), 1964, p.p. 324- 333.

34. Jones, D. The Pronunciation of English, Cambridge, Cambridge University Press, 1967.

35. Mitchell, T. F, Principles of Firthian Lingustics, London, Longman Group Ltd, 1975.

* * *